الدلالات والمعاني السوسيولوجية في لباس العروس بمدينة عنابة

Connotations and sociological meanings in bride's dress in the city of Annaba.

نادية مليانى *

أفراح مليانى♣

تاريخ الإرسال: 2022/02/01	تاريخ القبول: 2022/02/23	تاريخ النشر: 2022/05/01

الملخص: تحاول الباحثتان ابراز لباس العروس العنابية في طقوس ارتدائه، دلالاته ومعانيه السوسيولوجية كرصيد اجتماعي وثقافي، تندرج الورقة البحثية ضمن الدراسات الاثنوغرافية، تبين النتائج الميدانية الأولى: أن الدلالات الظاهرة للباس العروس هو استثمار لامادي يحافظ على أصالة وتاريخ مدينة عنابة، يدل على تاريخ العائلة وأصولها، يرتبط بمفاهيم الزواج والقرابة والعائلة، أما الدلالات الضمنية فهي التماسك الاجتماعي، تعزيز الشعور بالانتماء، قيمة السترة والحياء، المكانة الاجتماعية والتفاخر، الألوان والقوة والاستقرار، الإشهار والدعاية، المفاضلة بين البدائل، تنظيم الوقت.

الكلمات المفتاحية: لباس تقليدي، عرس، طقوس.

Abstract: *The researchers try to highlight the dress of the bride in a ritual, which reveals social and cultural monitor. This article is part of ethnographic studies. The first results of apparent connotations of bride dress are an immaterial investment, authenticity and history of Annaba city. Marriage, kinship and family. A range of implicit connotations are: social cohesion, promotion of a sense of belonging, value of cover and decency, social standing and bragging, colors and power and stability, publicity and propaganda, trade-offs between alternatives, and time regulation.*

Key words*: traditional clothing, dress, wedding.*

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

المؤلف المرسل: نادية مليانى nadia.meliani@yahoo.fr

* جامعة باجي مختارعنابة nadia.meliani@yahoo.fr

♣ جامعة الشاذلي بن جديد الطارف afrah.bonoise@gmail.com

. مقدمة:

يحقق المجتمع وجوده واستمراره من خلال رصيده الثقافي الذي اكتسبه عبر امتداد تاريخي للإنسان مع المكان واستغلاله لما أفرزته التبادلات والعلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فحاضر البشر هو امتداد للماضي الذي اجتهد سكانه في ابتكاره والحفاظ عليه وتناقله بين الأجيال فالاعتزاز بالانتماء لا يأتي من فراغ وحالات الكمون التي تصيب المجتمع تسمح لثقافات أخرى يأخذ مساحات في مكان غير منشأها ويفقد الموروث الثقافي مع الزمن خصوصيته وأصالته لتحتل قيم ثقافية أخرى المكان فتضيع الذات الثقافية للمجتمع المحلي.

التقاليد الثقافية تحمل دلالات اجتماعية عميقة، قوية، وناعمة ولكل تقليد أو طقس ثقافي خصوصيته وأركانه وشروطه وسبل تداوله وابسط مثال على ذلك اسلوب الغناء الأندلسي الذي اشتهرت به دول شمال إفريقيا وبالأخص دول المغرب العربي كتونس والجزائر والمغرب فرغم انها نهلت من نفس الوعاء الثقافي الأندلسي إلا أن لكل بلد منها طابعها الغنائي الأندلسي الخاص الذي لا يخرج عن الأصل وهذا ما زاد من قوة هذا اللون من الغناء، فالموروث الثقافي اللامادي هو رسالة معبرة عن الحالة الحضارية للسكان الأصليين لتلك المنطقة ومرآة عاكسة لممارساتهم الاجتماعية والثقافية في مختلف الأوضاع سواء بالحزن أو الفرح تستخدم فيها الجماعات وسائل عديدة للتعبير عن تراثهم الثقافي في عملية متواصلة من تطويره ليصل إلى الأجيال اللاحقة في أشكال جديدة مع خصوصيات ثقافية ظاهرة دالة على طهر ونقاء وفنية من سبقوهم.

انتقال مسارات وأشكال الثقافة اليومية بين الأجيال محصلة لعملية تزاوجيه ذات بعدين البعد الأول أنها بيولوجية تضمن استمرار النسل للعشائر والقبائل والأمم والبعد الثاني أنها انتقال لحياة أسرية جديدة وتصاهر بين العائلات وتمديد شبكة العلاقات الاجتماعية ومن ثم تمازج بين الثقافات الفرعية التي لا تخرج عن الثقافة العامة للمجتمع، فطقس الزواج عند العائلات الجزائرية وبخاصة العنابية يقوم وفق مراسيم وطقوس ثقافية ودينية واجتماعية واقتصادية تحضيرا ليوم الزفاف تستعد خلالها عائلتي العريس والعروس بتجهيز ما يلزم وما هو متفق عليه في تقاليد الزواج ويقاس فيه أصالة العائلة وعراقتها وانتماءها للمجتمع العنابي بمدى قدرتها على احترام تلك الطقوس والتقاليد بكل

فنياتها وجمالها ومكوناتها وشـروطها ولا يتم التجاوز عن أي خطا أو سـهو صـدر من إحدى العائلتين وتتحمل وزر ذلك اجتماعيا.

دأبت العائلات العنابية على الاحتفال والابتهاج بالزواج والاهتمام بالعروس لإظهارها في أبهى صـورها وفي نفس الوقت باحترام تلك التقاليد الثقافية في تلبيس العروس العنابية وهي من مسـؤولية عائلتها التي عليها أن تبحث عن إمرأة عنابية أصـيلة مشـهود انتماءها للعائلات العريقة في المدينة وهو تقليد يميز عنابة عن غيرها من المدن الجزائرية مهمتها تلبيس العروس باللباس والحلي التقليدي وتدريسـها السـلوكيات المنتظمة والمطلوبة يوم الزفاف وكيف عليها أن تتصرف مع مختلف الأوضاع والفترات التي يمر بها حفل الزفاف.

لم يحظى اللباس العنابي بدراسـات واسـعة تبرز دلالاته السـوسـيولوجية في ثراءه وفنيته وجماليته وعليه جاء هذا العمل العلمي للبحث في القيم الثقافية والاجتماعية التي يحملها لباس العروس العنابية بطرح التساؤل التالي:

ما هي الدلالات السوسيولوجية في لباس العروس العنابية؟

ومن أهداف البحث التي نسعى الوصول إليها:

- التعريف بلباس العروس كتراث شعبي حتى يكون هناك رصيد معرفي يزود المخزون الثقافي ويشارك في صناعة الذاكرة الجماعية.
- كشف المعاني الظاهرة والكامنة للباس العروس العنابية.
- تبيان أصالة اللباس والتزام العائلات به رغم عوامل التغير الاجتماعي.

2. تحديد مفاهيم الدراسة:

1.2 **مفهوم اللباس التقليدي:** يدل مصطلح اللباس التقليدي على "الزي السائد المرتبط بوقت معين ويحظى بقبول عالمي إلى درجة انه يتبلور تدريجيا في شكل نموذج تقليدي للملبس، وتبقى هذه الطرازات شائعة لوقت طويل جدا حتى أنها تبقى على خط الحدود بين الزى السائد والعرف ومع مرور السنوات تصبح طرازا من قبيل البلوزة النسائية أو طاقم التنورة أو المعطف المصنوع من الوبر...الخ"[1] ويذهب (رولان بارت) بقوله أن "الزى يظهر مرتبة لابسه ومنزلته ومكانته بين الناس والمنصب الذي يشغله واللباس يتحدد داخل شفرات اجتماعية والتي بموجبها يتم ترتيب الأشخاص اجتماعيا وكل لباس يحدد حدثا معينا"[2] فاللباس هو الآخر له وظائف هامة منها القيمية فهو يدل على السترة والحشمة

والحياء فنية جمالية من خياطته وطرزه ووظيفة رمزية لأنه يعبر عن تقاليد وعراقة المجتمع الأصلي الذي تنتمي إليه الجماعات العائلية ويعد اللباس التقليدي للعروسة من مكونات "جهاز لعروسة" المتكون من لوازم البيت لكل امرأة تنوي الزواج وكل عائلة مطالبة بتجهيز بناتها بدءا من المفروشات والألبسة وصلا إلى الحلي الذهبية وكثير من مستلزمات الحياة العائلية، و"جهاز لعروسة" "من مقومات كل مجتمع لأنه يعكس خصائصه ومميزاته الاجتماعية والأخلاقية لأن المظهر له صلة وثيقة بالشخصية فهو عنوان على ذات الفرد وانتمائه إلى ملة دون غيرها وإلى طبقة إجتماعية معينة"[3]، فالثياب "تخبئ الجسد لكنها تكشف عن صورة الجسد الاجتماعي"[4]، وعليه فاللباس التقليدي للعروسة هو صورة الانتماء الثقافي بدلالاته السوسيولوجية مظهرا الحشمة والحياء والستر ومهارة إتقان اللباس وجماليته.

2.2 مفهوم العرس حددت[5] مفهومها حول العرس بأنه تلازم الشخصان أي العريسان لبعضهما البعض بعد إقرار الرباط الشرعي فينشأ تلاحم روحي بينهما، كما يدل ايضا على تقاسم لحظات الاحتفاء مع الأهل والأحباب. وللعرس أو حفل الزفاف طرق احتفاء وإجراءات مختلفة حسب المناطق، فمدلولنا للعرس في هذه الدراسة هو الحفلة التي تقيمها أولياء العروس وتقوم بدعوة أقاربها وأحبائها وصديقاتها وتوجيه دعوة أخرى لأهل العريس اما في بيت العروس أو فضاء مخصص كقاعات الحفلات وهي فضاءات مخصصة لذلك تتبادل فيه المدعوات لحظات الفرح بالغناء والرقص ولبس الأزياء التقليدية، وتلتزم ملبسة العروس "الماشطة" إظهار العروس في أبهى حلة تقليدية تحترم كل الأعراف فيما يخص طقوس تلبيس العروس وتجليسها.

3.2 مفهوم الطقوس تتفق العديد من الكتابات الاجتماعية والأنثربولوجية على أن الطقوس إرث ثقافي يتم تناقله من جيل لآخر يجتمع في الذاكرة الشعبية للمجتمع فيحفظ قيمه ومعاييره، وتأخذ الطقوس صيغا مختلفة يتم تكرارها عبر الزمن والمحافظة عليها[6] تسهم الطقوس حسب[7] في تجييش المجتمع وشحن الرمزي منه برموز القداسة وتقوية الوعي الجمعي ودعم انتماء الأفراد الى منظومة أخلاقية معينة تولد حالة من الحماس والغليان لمجرد الانخراط فيها.

فمحاولتنا إظهار معنى الطقوس في اللباس التقليدي العنابي للعروس هو ابراز لتلك القيم الاجتماعية والرمزية المتعالية في فنية اللباس ومكوناته وطريقة تطريزه وألوانه وارتداءه وحتى الرسوم المستعملة فيه التي ترفع كل عائلة ملتزمة بها ومحافظ عليها الى طبقة اجتماعية رفيعة لتدخل العائلة في مجال العائلات العنابية الأصيلة، وكل مخل بتلك الالتزامات والقواعد العامة والدقيقة جدا في تفاصيلها تنزل على إثره وبطريقة آلية العائلة من مصاف العائلات الأصيلة، فالجبروت الاجتماعي يمكن أن يعزل اجتماعيا تلك العائلة المخلة بالقواعد ولمستها الباحثتان عند احتكاكهما بالمخبرات الكبيرات في السن.

4.2 مفهوم المجتمع المحلي يعرف المجتمع المحلي بأنه "مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي تقع كلها أو معظمها في إطار محدود المساحة من الأرض"[8] فهو بذلك يمثل اتساق في الحياة الاجتماعية أين ينظم أفراد المجتمع أنشطتهم وفق قواعد مضبوطة ، كما يعرفه بارسونز بأنه" تجمع الفاعلين في منطقة محددة، بصورة تتيح ظهور الأنشطة اليومية المشتركة"[9] ويقول آخرون أن المجتمع المحلي عبارة عن "مجموعة من الناس يقيمون في منطقة جغرافية محددة، ويشتركون معا في الأنشطة السياسية والاقتصادية ويكونون فيما بينهم وحدة اجتماعية ذات حكم ذاتي تسودها قيم عامة ويشعرون بالانتماء نحوها"[10] .

مدينة عنابه تمثل مجتمع محلي محدود الرقعة الجغرافية حيث" تعتبر من بين المدن الأثرية الموجودة بالساحل الجزائري، على بعد 600 كلم2 من الجزائر العاصمة تنحصر بين رأس أطارس وواد بسيبوس جنوبا وواد بوناموسة شرقا وبحيرة فزارة وجبال الإيدوغ غربا"[11] يعود أصل تسمية عنابه إلى تعاقب حضارات متنوعة فقد سكنها "النوميديون حيت أطلقوا عليها اسم (هيبورجيوس) وعنها (هيبو الملكية) ومع اتصالها بالفنيقيين أصبحت تسمى (هيبو) وهي قريبة من كلمة عبون الفينيقية، فحسب بعض النظريات فمصدر كلمة (إيبون) بمعنى الخليج أو الملجأ وقد عرفت في العهد البوني بهيبونة"[12] تم سميت في العهد الروماني بهيبون وفي العهد الإسلامي إشتهرت ببونة ، وبعدها بالعناب وذلك نسبة إلى شجرة العناب في الفسيفساء ومنه أطلق عليها إسم عنابة.

وعليه فالمجتمع العنابي أفراده لهم إنتماء تاريخي للمدينة والمحافظين على طقوس الزواج التقليدية للعروس العنابية.

3. الدراسات السابقة

1.3 دراسة سلاف دريسي ثاني:[13] تناولت الدراسة اللباس التقليدي الحايك أنموذجا بإبراز اهم التغيرات الثقافية والاجتماعية والوظيفية التي تعرض لها الحايك على اختلاف أنواعه (الملايا اختصت بها الجهة الشرقية من الوطن سوداء اللون، احولي اختصت به منطقة غرداية، تيسغنيت خاص بمنطقة جانت وتمنراست، المرمة خليط من الحرير والقطن لبسته المرأة الحضرية، الملحفة الصحراوية وفيها العديد من الأنواع حسب المناسبات وحسب الحالة المدينة للمرأة فتختلف ملحفة الفتاة عن ملحفة المرأة أو كبيرة السن)

تطرقت الدراسة إلى أصوله التي أرجعتها العديد من الأبحاث إلى الفترة الفينقية في حين هناك من يرجعه إلى الثقافة الليبية في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم استعرضت الباحثة أهم الوظائف التي تعلقت بالحايك واستطردت في القول بأن الحايك أستعمل لأغراض السترة، وللحماية من تغيرات المناخ، كما أستعمل للتميز بين الطبقات الإجتماعية –سكان الريف والمدينة- ففي الريف كان هناك تمييز بين القرويين والفلاحيين والاعيان من خلاله وعرفت المرأة الغنية بارتدائها للحايك كما عمل الحايك على حماية مفاتن المرأة وابعاد مظاهر العين والحسد وخشيتها على خصوبتها .

أما عن اهم التغيرات التي طرأت عليه والتي نالت من فنيته فقد تغير نوع القماش نتيجة الظروف الاقتصادية التي خلفها الاستعمار كما ان مقاسه تعرض للتغيير ففقد من طوله وأصبح يصل الى خصر المرأة ليتحول الحايك من وسيلة لحماية المرأة الى وسيلة لحماية مظاهر الفقر ومع مرور الوقت أصبح موضة للعروس ترتديه عند خروجها من بيت اهلها الى بيت الزوجية.

2.3 دراسة أسماء لبلق:[14] عرضت الباحثة موضوعا للدراسة بعنوان التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الاسرة التلمسانية، وركزت الباحثة اشكاليتها حول معرفة اهم التحولات التي مست مراسم الزواج في تلمسان باعتبار ان هذه المراسيم من القيم الثابتة لها وظائفها ودلالاتها ورموزها في المجتمع التلمساني ولأجل ذلك طرحت الباحثة سؤالها الرئيسي كيف يمكن أن يعبر التغير الحاصل في الطقوس الاحتفالية للزواج على التغيرات الثقافية في الأسرة التلمسانية؟

تم معالجة الموضوع من زاويتين: الأولى هي رصد أهم مراحل الزواج بدءا من الاختيار للزواج مرورا بالخطبة، ثم الملاك، عقد القران، وصولا إلى الزفاف وعرضت أهم التحولات

الثقافية التي مست تلك المراحل بين الماضي والحاضر من خلال الوجبات المقدمة خلال الحفل، نوعية الموسيقى، الأيام المخصصة للاحتفال بالزواج، لباس العروس (الشدة التلمسانية، القفطان، البلوزة، الفوطة، الشاشية، المنديل، التحويقة، الحزام، الحايك)، والزاوية الثانية عرض التفاصيل الخاصة بالممارسات الاحتفالية بين الماضي والحاضر في المجتمع التلمساني منها مناطق –اقادير-سيدي الحلوي-الكيفان-العباد لتواجد الأسر التلمسانية الاصيلة بالمنطقة وعدم تعرضها للتهجير نحو باقي المناطق، توصلت الباحثة إلى مجموعة نتائج أهمها:

- نتيجة للتغيرات والتطورات التي حدثت في السنوات الأخيرة وبخاصة في الالفية الثالثة فالأسرة التلمسانية قد تغيرت في بعض القيم والوظائف وحلت محلها قيم ووظائف أخرى تحاول أن تتماشى وتتكيف معها؛

- أساليب التنشئة الإجتماعية تغيرت وأن الآباء أصبحوا أكثر وعيا وإدراكا بأمور أبنائهم؛

- لنمط النووي للأسر ساعد في تغيير العديد من القيم الثقافية فلم يعد بإمكان الأسرة الممتدة أو الواسعة التدخل والتحكم في اختيار الزوجة المناسبة فقديما كان يشترط توفر عنصر دائرة القرابة فالآباء أصبحوا يشجعون على الاختيار الشخصي؛

- الطقوس الزواجية ونفقات التحضير والاحتفال مازالت خاضعة للسلطة الأبوية مع بروز صراع الأجيال بين ما هو تقليدي وعصري؛

- ظهور تحولات في لباس العروس خاصة القفطان والشدة التلمسانية فلم يحافظ على مكوناته المادية ففقد قيمته الجمالية الأصلية؛

- المكانة الاجتماعية لها دورها في توظيف طقوس الزواج فالقدرة الإقتصادية المتفاوتة بين الأسر عززت من ظهور فروق جوهرية فحظيت الأسر الثرية بالتفاخر والتباهي أمام عجز الأسر قليلة الدخل عن منافستها.

3.3 دراسة فايزة تمساوت:[15] نشرت الباحثة مقال تحت عنوان: مضامين رسائل الاتصال غير اللفظي: اللباس التقليدي للمرأة القبائلية أنموذجا، مثيرة إشكالية البحث عن الدلالات والرموز للرسائل الغير لفظية للباس التقليدي باعتبار أن الاتصال غير اللفظي سابق للاتصال اللفظي كتعابير الوجه والإشارات الجسدية، النظرات، اللمس، النبرات الصوتية، الحركات، التعبيرات الناتجة عن المسافة، لغة الأشياء والتي منها اللباس، وإن اختيار هذا

الاشكال كان مقصودا وهادفا لإرتباطه بالمجتمع القبائلي بشكل كبير وقد عبرت الباحثة عن الدور الإتصالي للباس التقليدي القبائلي للمرأة بأنه كسب علامة سيميائية ثقافية خاصة أصبحت مع مرور الزمن جزءا ثقافيا من الإرث الثقافي لمنطقة القبائل، كما ساهم اللباس التقليدي للمرأة القبائلية في الحفاظ على خصوصيته بسبب العزلة الاجتماعية للمنطقة فلم يتعرض للتغيير كباقي الألبسة التقليدية وتضيف الباحثة أيضا بعد إتصاليا آخر وهو تأقلم اللباس مع كل نشاطات المرأة القبائلية فقليلا ما تضطر إلى تعديله أو إضافة قطع أخرى.

عرجت الباحثة إلى ذكر مجموعة من الدلالات الثقافية والتربوية التي ترتبط بمكونات اللباس مثل الحزام الذي يستخدم رفع الفستان ليشكل جيب في الصدر وظيفته إخفاء مفاتن المرأة الجسدية، أما المنديل فيرمز للعفة والشرف ولا يجوز نزعه أمام الرجال؛ وقد خلصت الباحثة إلى أن اللباس التقليدي للمرأة القبائلية في بعده الإتصالي يتوافق مع البيئة الإجتماعية ويعزز القيم الاجتماعية والتربوية.

6. المعالجة المنهجية

1.6 المجال المكاني: تمت الدراسة الميدانية في مدينة عنابة والتي سبق أن عرفنا بها في عنصر تحديد المفاهيم كمجتمع محلي ومجال تقع فيه دراستنا، وهي مدينة حضارية لها بعدها التاريخي نتيجة تعاقب العديد من الحضارات عليها وقد تأثرت بثقافاتهم، والممارسة اليومية أيضا تكون محاطة بمجموعة طقوس تحمل دلالة ومعنى، وهذا ما نحاول الكشف عنه، وتقطن الباحثتان في المدينة مما يسهل عليهما حضور حفلات الزواج ومتابعتها في ادق تفاصيلها.

2.6 المجال البشري: قامت الباحثتان بمراجعة مجموعة من الاخباريات المتقدمات في العمر وكذا انتماؤهم الى مجموعة من العائلات ذات الألقاب الأصيلة، ويقطنون الأحياء العتيقة، فشكلت هاته الاخباريات المصدر الرئيسي في عملية جمع وتحليل المعطيات الميدانية واشتملت الدراسة على 20 مخبرة ويتكونٌ من الأقارب، الماشطة، المكلفين بمتابعة مراسيم الزواج من العائلات.

3.6 المجال الزمني: امتدت الدراسة على سنوات 2017 -2019 وهي مدة كافية كانت من خلالها معايشة أفراد العينة من العائلات التي وجهت للباحثتان دعوة حضور حفل عرس لبناتها، وكانت بعدد 12 عرس.

4.6 المنهج وأدوات الدراسة: اعتمدنا على المنهج الاثنوغرافي والذي كانت أبرز خطواته في الدراسة الملاحظة بالمشاركة لكل حفلات العرس المقامة مع تسجيل صوتي ومرئي من خلال كاميرا الهاتف النقال، اجراء مقابلات مع 20 امرأة مخبرة تتراوح أعمارهن بين 76-90 سنة، ثم شرعنا في إعادة عملية العرس للتعرف على الصورة النمطية التي تتكرر في كل حفل عرس العروس، ثم الوصف والتحليل وهو ابراز المعاني والدلالات الظاهرة والكامنة في لباس العروس كما هو موضح في النتائج الآتي ذكرها.

7. نتائج الدراسة

نعرض فيما يلي نتائج الدراسة الميدانية للباس العروس العنابية في مكوناته ودلالاته السوسيولوجية:

1.7 مكونات لباس العروس العنابية التقليدي: للعرس العنابي تقاليد قديمة لا زالت راسخة يمارسها المجتمع العنابي بكل تفاصيلها حيث تظهر العروس العنابية جمالها وجاذبيتها ورفعتها من خلال ارتداء ما يسمى بـ: "الدللة واللفة العنابية" كلباسين رسميين لكل عروس، تم تزيد عنه حسب ما ترغب فيه العروس وعائلاتها، ولباس العروسة له ضوابطه وأحكامه فهو يظهر مدى التزام العائلة بقواعد اللباس من احترام اللون ووقت وكيفية الارتداء، وعادة تكون المراحل كالآتي:

- <u>المرحلة الأولى للباس ويسمى "الدللة":</u> تكون عند تحضير العروس من أجل الحنة حيث تجلب من بيت والدها تحت فرقة موسيقية عادة ما تكون مداحات أو عيساوة وتكون بمرافقة امرأة كبيرة ذات أصول عنابية تهتم بالعروس ولباسها وتزيينها وإخراجها وجلوسها وتسمى (الماشطة) فهي المتكفل الأول والرئيسي بالعروس ولا أحد يتدخل في عملها، فتجهز الماشطة العروس لارتدائها اللباس الأول التقليدي الاجباري "الدللة" المتكونة من العديد من القطع:

أولها القندورة ويكون لونها الأساسي أبيض أو ازرق سماوي وطرزها يكون في أصله وغالبا من "الفتلة" أو "التل" لكن نجده في أحيان أخرى بطرز الكوكتال، تلبس فوق تلك القندورة

"القاط" أو قفطان طويل مفتوح من المخمل يكون مُطرّز بالفتلة، أما الأكسسوارات التي تعد أساسية به هي الدلالة وهي عبارة عن قطعة توضع على الرأس تتزين بعملات ذهبية إما بالويز أو بالويز السلطاني، ثم يلبس معها مجموعة من الحلي التقليدية من بينها: على مستوى الرأس نجد "الخجالي" "الشوشنات" "الجبين الجزائري" والقطينة وزينة الخد أما على مستوى الرقبة نجد الإكسسوارات التي تترافق مع أي تصديرة للعروس العنابية الا وهي "مدبح الويز" و"خيط الشعير" أو "خيط الحوت" مع "اللوح" وهما من الحلي التقليدي الخاص بهذه المدينة وقد يلبس معها أيضا "الكرافاش بولحية" و"السخاب" و"عقد المخبل الجزائري" إلى جانب التفاحة والهليلة فالتفاحة ترمز للتواصل بين الأجيال والهليلة للتنوع الثقافي أما باقي الإكسسوارات فتتمثل في "مقياس الفتلة العنابي" أو أي نوع من "المقياس وتكون بعدد 03 في كل معصم إضافة إلى مجموعة من الخواتم، وعلى مستوى الخصر لا تضع العروس أي شيء فالحزام الذي يتوسط البطن يترك لثالث يوم بعد الزواج أين تلتقي العائلتين لإقامة ما يسمى بالتخليلة "وهو احتفال بفض عذرية المرأة وانتقالها في النوع النسائي من العزباء إلى المتزوجة وهنا تلبس أيضا لباسا آخر أبيض ووردي وأزرق مع وجود الماشطة أيضا وهي التي تقوم بتلبيسها مثل يوم زفافها، وتضع عليها وشاحا كبيرا من اللون الوردي المطرز وهنا يتم مناداة طفل صغير "ذكر" لربط حزامها وهذا له معنيين الأول وهو الفأل بأن يكون أول طفل للعروس ذكر والمعنى الثاني الإعلان الضمني على أن العروس أصبحت امرأة وسيدة من سيدات المجتمع وعليه تبدأ مسؤولياتها كربة بيت، واستكمالا للاكسسوارات فعلى مستوى لأرجل تلبس العروس الخلخال.

- المرحلة الثانية للباس ويسمى "اللفة العنابية": وهو ثاني لباس اجباري تلبسه العروس العنابية بعد لباس الحنة الدلالة ويأتي بعد شرب القهوة وتدوير العروس على الباحة حيث تمر بين كل الحاضرين للحفل محتشمة مطأطأة الرأس بمشية هادئة وابتسامات خفيفة مع المدعوين وتُلبس اللفة مع "قندورة الفتلة" أو قفطان الفتلة بأنواعه وأشهره "قفطان القرنفلة" وتتكون "اللفة العنابية" من شيء أساسي وهو إكسسوارات الرأس وتتمثل في:الشاشية السلطاني العنابية وتختلف في شكلها عن الشاشية السلطاني المستغانمية، وهي عبارة عن شاشية متوارثة منذ القدم وخاصة بعنابة فقط كانت تتزين بالسلطاني وهي عملة عثمانية ذهبية قديمة والخاصة بمدينة بونة آنذاك كانت تضرب

باسم السلطاني الشريفي، لكن اليوم قل استخدام السلطاني وتم الاعتماد على اللويز كبديل له، تُلبس هذه "الشاشية" على الرأس بعدما يتم لف شعر العروس في محرمة الفتول، يضاف إليها "الجبين" و"الشوشنات" و"زينة الخد والرعاشة"، أما على مستوى الرقبة واليدين فتلبس ذات الحلي السابق ذكره.

- المرحلة الثالثة اللباس الإضافي عددا ونوعا: بعد إستكمال مراسيم تلبيس العروس كل من اللباسين الأساسيين (الدللة واللفة العنابية) وكثيرا ما تقتصر عليه بعض العائلات لأنهما يبرزان أصالة العائلة العنابية كنسق اجتماعي ثقافي له جذوره التاريخية والثقافية تقوم الماشطة بتلبيس العروس أشكال أخرى من اللباس التقليدي الجزائري بحيث تتفنن المشاطة في إظهار حسن وجمال ورشاقة العروس كالكاراكو العاصيمي والبلوزة الوهرانية والجبة القبائلية والعديد من الأطقم التقليدية مع إتباعها بالحلي الذي يخص كل لباس، وتظهر في هذه المرحلة التفاخر بين العائلات والعرائس في كثرة عدد ونوع الألبسة الإضافية لكي يقال عن العروس "بنت فلان لبست ولبست" وهذا دليل على أنها عروس من عائلة غنية أو ارتقت اجتماعيا بلباسها لتكون في مصف العائلات الغنية وميسروة الحال.

2.7 الدلالات السوسيولوجية للباس العروس العنابية:

أثناء المراسيم الإحتفالية نجد جملة من الممارسات الثقافية يقوم بها الأفراد المجتمعون في الحيز المكاني مقصودة وغير مقصودة وصريحة وضمنية، هذه الممارسات وسمات التعابير الملموسة وغير الملموسة تحمل جملة من المؤشرات السوسيولوجية تعبر حقيقة عن واقع اجتماعي لمجتمع محلي وقت ممارسته لطقوسه، ومن بينها لباس العروس العنابية الذي يجعلنا نقف عند معانيه ودلالاته السوسيولوجية فلباس العروس العنابية يمر بمراحل إعدادية قبل لبسه من اختيار الألوان والخياطة والطرز واختيار نوع صورة الرسومات التي يكون عليها خيط الفتلة وتسمى "الرشمة" واستعانة العروس بـ(الماشطة) يوم زفافها، فهذه الاستعدادات هي تحضير لمجموعة من المخرجات اللامادية تنتج من النسق الثقافي يمكننا إبراز جوانب منها كالآتي:

- التماسك الاجتماعي: إن اللباس التقليدي للعروس يحمل في معانيه دلالة التماسك الاجتماعي، فالمجتمع المحلي يتوحد "في الممارسات السلوكية" ويتكاثف "في

الاعانة المادية" ويتكافل "يحتضـــن الفتاة العروس التي ليس لديها عائلة" من أجل اخراج العروس في أبهى حلة نظرا لمرزية وقدســـية الزواج عند العائلات العنابية، فاللباس التقليدي للعروس يجمع العائلات والأفراد على خصائص اجتماعية ثقافية واحدة وموحدة رغم تباعد المســـافات ومرور الزمن. نلاحظ كذلك أن في لباس العروس العنابية تكرس لمبدأ التماســـك بين عائلات المجتمع العنابي فنجد أم العروس تبحث عن الماشـــطة المتكفلة بتلبيس العروس وإظهار مدى أصالة لباسها بالتدقيق في طرزه وخياطته وصورة وشكل خطوط الفتلة أي "الرشمة" ولها أنواع كشكل القرطاس والعين والحاجب والشمعة والضفدع والمخ وغيرها" وكذلك تنظر الماشطة في لون اللباس والحلي التي يشترط أن تكون من الذهب الخالص لتقف بشـــموخ أمام عائلة العريس خاصـــة إذا كانت من عائلة عنابية عريقة في المجتمع العنابي،

يظهر الاستثمار الثقافي اللامادي عبر تماسك المجتمع العنابي من خلال حفظ خط النســـب العنابي العريق، فيتم أرشـــفت تلك الأنســـاب العريقة لتمييزها عن باقي الأنســـاب المختلطة ما يزيد من تماســـك العائلات العنابية فيما بينها وتلاحمها ووقوفها على تدوين كل ما هو تراث عنابي أصـيل ففي العائلات العنابية العريقة هناك طريقة السـفينة وهو مجلد يتم تسـجيل فيه الموروث الغنائي العنابي الأصـيل دون تحريف أو زيادات ويتكفل به شـخص موثوق فيه وفي قدرته على حفظ الأمانة ويتم توريث تلك السـفينة عبر الأجيال ولا تطبع إلا نسخة واحدة أصلية منها، لكن تتعرض هذه الطريقة إلى خطر ضياع ذلك الإرث أو تعرضه للسرقة والتحريف ما يجعل الدوائر الثقافية أمام مهمة ثقافية وتاريخية تستلزم منها إنشاء بنوك ثقافية تحفظ فيها تركة الأجداد بموافقة ملاكها الأصليين ويتم استغلالها لاحقا في التعليم لنشر الحقائق التاريخية الثقافية للمجتمع المحلي.

- <u>تعزيز الشـــعور بالانتماء:</u> يقول عالم الاجتماع دالف لينتون" أن هذا المجتمع في أبسـط أشـكاله له مجموعة من الزمر تسـكن مكانا محدودا تشـعر بالوحدة والانتماء نظرا لأوجه الشـبه العديدة في ثقافتهم والاتصـالات الودية والمصـالح المشـتركة، وهذه الوحدة المشـار إليها ليسـت شـيئا جامدا بل مشـاعر قوية تكون مانعا لأي تغيير طارئ مكونة نسـق من العلاقات الاجتماعية"[16].

إن حضـــور الاحتفالات المقامة للعروس وانجذاب الجميع لرؤية العروس بلباســـها التقليدي وتغنيهم بأصـــالته وفنيته وجماله يقودهم نحو الشـــعور بالاعتزاز للانتماء إلى المجتمع العنابي وإلى تلك التقاليد الضـاربة في التاريخ التي تشـير إلى أن هذا المجتمع لم يأتي من فراغ أو ممارسة هجينة بل هو امتداد للماضي في الحاضر والمستقبل، فاللفة والدلالة والحلي الخاصة بكل لباس تعزز رمزية بونه وتعاقب الحضارات عليها.

فهذا الشـعور بالانتماء يشجع أفرادها على تنمية منطقتهم من خلال الاعتزاز بمورثها فيعملون على النهوض بها من خلال إقامة مهرجانات، معارض، حصص إذاعية وتلفزيونية، ملتقيات فنية ثقافية تعليمية تعرف بالمنتوج الثقافي المحلي وتغذي روح المنافسة والابتكار والتطوير وتشجع على الاستثمار فيه.

- <u>التباين الاجتماعي:</u> يقول عالم الاجتماع جورج زيمل أن "الأزياء شـــكل من المحاكاة وعامل من عوامل التباين الاجتماعي، فهي توحد بين الذين ينتمون لطبقة اجتماعية معينة كما أنها تفصـــلهم عن أعضـــاء الطبقات الاجتماعية الأخرى"[17]، وهو ما نشـــهده في لباس العروس العنابية الذي يبين الفرق بين اللباس التقليدي لمنطقة الشـــرق وخاصـــة عنابه وبين الألبسة التقليدية لباقي مناطق الوطن،

إلا أننا لا نتفق مع زيمل من منظور أنها تفصـــل بين طبقات المجتمع بل بالعكس تجعل مورثونا الثقافي غني بالتنوع والتميز والتكامل لأن كل منطقة تكمل الأخرى لتشـــكل هوية وطنية جامعة وإتحاد قوي بين مختلف مكونات المجتمع، بحيث يصـــبح ملكا ثقافيا وعلى الجميع حمايته من التحايل الذي نشـــهده من حين لآخر بإنســـاب بعض التقاليد الثقافية لبلد ما وهذا راجع لقلة البحوث والدراسات في ميدان الأنثربولوجيا والتاريخ ولعدم الإكثرات بنتائج البحوث أيضـــا التي تحمل حقائق علمية تســـاعد في إثبات انتماء الأشـــياء وإرجاعها إلى أصلها الحقيقي.

- <u>الاحتشام والسترة:</u> تتميز عائلات الشرق الجزائري بطابع إسلامي أصيل من حيث الحفاظ على مكانة المرأة واحترامها فهم لا يقبلون أشـكال التعري والتسـيب خاصـة اتجاه بناتهم وزوجاتهم وهذا ما يظهره لباس العروس المحتشـــم فالعروس العنابية مطالبة بارتداء لباس محترم أمام الحضور وعدم إظهار مفاتنها إلا ما كان مستحبا خاصة أمام أهل العريس لتحافظ على جمالها وسحرها وهي بذلك ترسل إشارات بأنها ملتزمة بالستر والحياء حتى يوم

فرحتها، ونجد أهل العريس يحرصـــون على ترقب حركاتها وتصـــرفاتها وطريقة جلوســـها وحديثها ، وتلعب الماشـطة أيضـا دورا مهما في هذا الشـأن حيث تقوم بتلقين العروس بعض التوجيهات الأدبية والسلوكية أمام الحضور حتى تحفظ قيمة ورمزية العروس العنابية.

هذا الحياء والحشـمة والسـترة هي سـلوكيات اجتماعية إيجابية معيارية ومكسـب ثقافي للمجتمع لأن صلاحه من صلاح المرأة، فتنشئة الفتيات على هذه الضوابط والمعايير الأخلاقية هو تحضـير لبناء أخلاقي للأجيال اللاحقة التي سـتكون فيه تلك العروس ركيزة هامة في استقامته لأنها تعبر عن صورة نمطية للمرأة بذلك المجتمع.

- دلالة الألوان في لباس العروس: للون في حياة الإنســان تأثير كبير مرتبط بمفاهيم عديدة، "والدلالات الاجتماعية لرمزية اللون تشكل منظومة واسعة ومصادر لخطاب رمزي اجتماعي حيث يرتبط شـكله بمراسـيم الاحتفال كالزواج، الختان، الميلاد، الموت...الخ"[18] فلباس العروس العنابية بتنوع ألوانه يحمل مجموعة من الدلالات النفسـية والثقافية تعطي بعدا تاريخيا لتلك الألوان فاللون الأبيض للباس "الدللة العنابية" يرمز إلا الطهارة والنقاء والصفاء والإستقامة وهي رمزية متفق عليها عند جميع الحضارات والأديان والعلوم، إلا أن اللون الأزرق الذي ترتديه العروس لنفس اللباس قد اكتسـب تناقضـات دلالية ففي حين يعتبره علماء النفس مصدرا للراحة والهدوء والأمان، تضاربت رمزيته في الأديان "فعند المسـحيين يرمز للرب وأنه أحد الألوان المقدسـة، في حين نجده في القرآن الكريم لم تشـر مواطن نزوله بـالخير والثنـاء بـل ارتبط بوجوه الكـافرين يوم الحشـــر وبـالزبـانيـة وبعيون الشـيطان"[19]، وهذا ما يضـعنا أمام حتمية الرجوع إلى تاريخ بونه العريقة التي تداولت عليها الحضـارات القديمة والتي قدسـت اللون الأزرق والأبيض فبقي في ذاكرة الشـعوب الثقافية رمزا للراحة والهناء وتعبير قوي على أن طقس الزواج سـيجلب الأمان للعروس خاصـة وأن ارتداء الدلالة العنابية الزرقاء أو البيضـاء يكون اسـتعداد لترتيب حنة العروس مما يعطي شـعورا للحاضـرين وللعروس بأن التغيير الإجتماعي الذي سـيحدث في حياة الأسـر المرتبطة به سيكون مطمئنا وإيجابيا ،

يأتي بعد اللباس الأول اللباس الثاني المتمثل في "اللفة العنابية" والتي عادة يكون قماشـها من اللون الأحمر ، فهو أيضـا يشـكل مجموعة من الدلالات المختلفة لكنها ليسـت متناقضـة بالشـكل الكبير فهو يرمز إلا الحب والقوة والذكورة والعواطف القوية والإثارة

والعمق وهو لون الدم الذي يرمز للتجديد والحركة ، وترتدي العروس العنابية اللفة الحمراء بعد تأدية مراسيم الحنة ما يدل على ترقب حياة جديدة وحركة قوية وتغيير مثير في حياة العروس وأنها سترتبط مستقبلا بأدوار ووظائف اجتماعية جديدة وقوية فهي ستكون أمام مهمة الإنجاب للحفاظ على النسل وبعدها مهمة الرعاية والتربية وفي المقابل ستتفاعل اجتماعيا مع عدة شركاء منهم الزوج وعائلته فتتحمل بذلك مسؤولية اجتماعية تتطلب منها القوة والصلابة.

كما نجد أن ألوان الملابس ارتبطت منذ القدم بجغرافية المكان وأنشأت لنا ما يسمى بالجغرافية الثقافية وهذا ما نجده في لباس العروس العنابية من تقديم اللون الأبيض والأزرق والأحمر، فمدينة عنابه ساحلية تطل على البحر بزرقته، كما أنها معتدلة الطقس سماءها صافية وتربتها خصبة وثمرة العناب التي سميت على أساسها المدينة كلها تشير إلى طابع المدينة الجغرافي، فالألوان مرآة لجغرافية المدينة يمكن استغلالها بتهيئة طابع عمراني موحد للمدينة يجمع خصائصها الجغرافية.

- <u>دلالة الوقت في لباس العروس:</u> تعرضنا في دلالة الألوان أن هناك ترتيب في لباس العروس من الأزرق أو الأبيض إلى الأحمر فالأزرق والأبيض يتم ارتدائهما من أجل مراسيم حنة العروس واللباس الثاني الأحمر يتم لبسه بعدهما تحضيرا لمراسيم الأخذ بيد العروس من طرف عائلة الزوج والرقص معها وأخذ الصور التذكارية وتكون مرفوقة بعملية "الرشقة او التبريحة" وهي المبالغ المالية التي يتم وضعها في يد العروس من قبل الحاضرين طوعا وليس أمرا ومن قبل عائلتي العريس والعروس، وهنا تستطيع العروس أن تكتشف مدى حب أهل العريس لها وذلك من خلال ما يسقطونها عليها من مال مصحوبة بالزغاريد والغناء، ولا يسمح في تقاليد العرس العنابي أن يتقدم اللون الأحمر على اللون الأزرق فكل لون له وقته تبعا لرمزية اللون في حد ذاته، فإدارة الوقت تبعا لترتيب لون اللباس وخصوصيته في المجتمع العنابي هو مظهر من مظاهر التنظيم الاجتماعي الاحتفالي ليصبح من الضوابط الاجتماعية في ارتداء الألوان ونبذ الانسياق وراء الرغبات الفردية في اللباس ، فاحترام الترتيب هو تجسيد لرغبات اجتماعية ثقافية كما أن العروس العنابية تقوم بتحضير جهازها بشكل ملفت وقد يصبح مبالغ فيه وهذا للتقليد السائد في المجتمع العنابي بأنه يعاب على العروس أن تقتني جهازا لبيتها بعد زواجها، فجهازها يجب أن يغطي مساحة

زمنية طويلة المدى وتحقق اكتفاء فيه، فدلالة الوقت هنا تعكس ثقافة المجتمع العنابي في تنشئة الفتاة على الحفاظ على بيت الزوجية والرغبة في استمرار الزواج ونجاحه واستقرار الأسرة الجديدة.

- دلالة المهارة وجمالية اللباس: تعرف المهارة بأنها " الأداء المتميز ذو المستوى الرفيع في كافة مجالات الحياة وهو بذلك يشمل كافة الأداءات الناجحة للتوصل إلى أهداف سبق تحديدها بشرط أن يتميز هذا الأداء بالإتقان والثقة"[20]، وهذا ما يتطلبه لباس العروس العنابية من مهارة الخياطة وتنسيق الألوان واختيار نوعية خيط الفتلة للتطريز عالي الجودة والمسمى بخيط الذهب وكذلك اختيار الصورة الهندسية لخيط الفتلة وتسمى "النقلة" تكون أصلية، ويتطلب كل هذا اختيار يد عاملة حرفية ماهرة ذات ذوق فني وجمالي ما يسمح بإخراج قطعة لباس باهرة وفاخرة تباهي بها العروس وعائلتها المدعوين، حيث تحرص العروس قبل يوم الزفاف بالذهاب للماشطة المكلفة بتلبيسها وتختار أجودها وأجملها، فجمالية اللباس وإتقانه دلالة على مكانة اللباس التقليدي في المجتمع واعتباره سفير للموروث الثقافي اللامادي العنابي، وهذا ما نشهده فعلا فقد أصبح مقصدا ومطلبا للعائلات الجزائرية في حفلات الزفاف خاصة الولايات الشرقية مثل قالمة، الطارف، سوق أهراس، الجزائر العاصمة وغيرها من الولايات، ما يدعم التنوع الثقافي والتزاوج بين الثقافات الشعبية المحلية وتنميتها وتطويرها وتحديثها دون المساس بأصالتها.

- دلالة التفاخر والبحث عن المكانة الاجتماعية: لا تخلو الطقوس الزواجية من جوانب التباهي والتفاخر حيث يرتبط الاحتفال واللباس بالعائلة ارتباطا مباشرا فهي تعمل على إنجاحه بكل قوتها حتى تثبت للغير أنها صانعة للتميز محاولة من خلال هذا النجاح إعطاء مشهد الحظوة والمكانة الاجتماعية واحتلال وضع اجتماعي ترغب فيه أو تؤكد جدارتها به، وهو ما يتم العمل به في المجتمع العنابي حيث تتنافس العائلات عبر طقوس الزواج من إثبات انتماءها الأصيل لمدينة عنابة وأنها من العائلات العنابية العريقة الأصيلة ، ما يعزز قيم اجتماعية إيجابية كالانتماء ولكنه في نفس الوقت يؤجج الصراعات العائلية في المشهد الاجتماعي.

البحث عن المكانة الاجتماعية ساعد في تصنيف العائلات بالتعرف على العائلات الأصلية والدخيلة والعائلات العربية والعائلات ذات أصول غير جزائرية وغير عربية، ما

يفتح الباب نحو البحث والتقصي في تاريخ المجتمع القديم وإبراز جوانب خفية منه تساعد في كشف حقائق أو نفي حقائق.

- الدعاية والإشهار في لباس العروس العنابية: تعتبر مراسيم الزواج وتلبيس العروس صورة من صور الدعاية والإشهار بالمنتوج الثقافي فالماشطة تحرص على تقديم أجود ما تملك من لباس تقليدي بحليه حتى تكسب مساحة إشهارية واسعة ما يسمح لها بكسب أسواق عائلية جديدة، حيث يعتبر لباس العروس يوم زفافها عرضا للمنتوج التقليدي في شكله الحداثي فتسعى الماشطة من الاستثمار وتزويد دخلها بتلبيس العروس وإظهار جمالها وأنوثتها،

كما اكتسبت الماشطة دورا آخر من خلال ربط سلوكيات العروس وتصرفاتها وحركاتها يوم الحنة بثقافة الماشطة وعراقتها وانتماءها لعائلة عنابية عريقة ما أكسبها قدرة على التأثير في العروس وجعلها تتقيد بأوامرها حتى تظهرها في أحسن صورها الجمالية والأدبية، وهذا يزيد من مكانة الماشطة الاجتماعية ويكون حافزا لتلقيها عروض جديدة لحفلات الزفاف.

تعتبر حفلات الزفاف مكان للتعارف وإكتشاف الآخر وللدعاية والإشهار لأصحاب الحرف أو الصنعة كما يقال (المختصة في حلويات الأعراس، الطباخ، الفرق الغنائية، الخياطات، الديكور...الخ) ففي حفلات الزفاف يقوم الحرفيون بإظهار قدراتهم ومؤهلاتهم مستخدمين أساليب تواصل متنوعة منها بطاقات مهنية، حساب فيسبوك، فيديوهات استعراضية، من أجل استقطاب العائلات والحصول على فرص عمل جديدة.

- لباس العروس تقليد وبدائل متاحة: إن عملية اختيار اللباس التقليدي في المجتمع العنابي أصبحت عملية هامة وممكنة وسهلة فهي تختصر الجهد والمال والوقت والذوق وغيرها من العوامل، فقد طورت الماشطة العنابية من أساليبها في إدارة عملية تلبيس العروس تماشيا مع احتياجات العائلات والعروس على وجه التحديد، فقد أصبح بالإمكان تجريب اللباس واختيار رسومات خيوط الفتلة واللون عبر تصفح العروس لكتالوق فيه ألبوم لصور عرائس أو عارضات أزياء مرتديات للباس العروس العنابية ما يسمح للعروس باختيار اللباس الذي ترغب فيه وتجربته وتقديم الملاحظات أو التغييرات التي ترغب فيها وهذا ما يسمح بطرح بدائل متنوعة تتناسب مع كل عروس، إن عملية الاختيار وطرح البدائل

للباس التقليدي جعلته مكسبا رأسماليا ثقافيا، وعملا احترافيا تنافسيا بين ممتهنات هذا النوع من المهنة منخرطين في دورة رأسمالية ومسؤولية ثقافية للحفاظ على الموروث الثقافي ونقله بخصائصه الثقافية الأصلية حتى تتحقق الاستدامة الثقافية ونحفظ حق الأجيال اللاحقة في التعرف على موروثهم الثقافي والتباهي به واستثماره في أشكال جديدة التي يطرحها المستقبل.

7. خاتمة:

لباس العروس العنابية موروث ثقافي وناقل من النواقل الثقافية البارزة في المجتمع المحلي لمدينة عنابة به ثراء وتنوع في مكوناته الثقافية التي تحتفظ بها الأجيال وتتناقلها فالباس العروس له جملة من الدلالات السوسيولوجية التي أردنا في بداية العمل البحث فيها واستظهارها من أهمها أنه يعمل على بعث التماسك الاجتماعي بين عائلات المجتمع العنابي، التي يرتبط فيها الأفراد بعضهم ببعض بروابط قرابيه واجتماعية وحضارية مشتركة، ويعكس حفل الزفاف من خلال اللباس التقليدي القيم والمعايير التي جعلت من الجماعة الصغيرة العنابية تتماسك نظرا لارتباطهم بمعايير وقيم عامة، الاعتماد والتبادل في واجب الزيارة والمساندة الاجتماعية والتضامن في مختلف مواقف الحياة، فرغم أن المجتمع تعرض للاستعمار والهجرة وازدياد توسع المدينة الا أن الفرد العنابي توحد بالجماعة وحافظا كلاهما على لباس العروس العنابية من حيث المكانة والمكون، والطابع المعاصر الذي يطغى على احياء حفلات الزفاف نتيجة التغير الاجتماعي والثقافي والحضاري لكنها ليست تغييرات جوهرية أو تغييرات جذرية ولم تمس بالفكرة الأساسية للباس العروس العنابية، فالعروس تجد كل من يحيط بها يعينها على اقتناء مستلزمات الحفل فيساعدونها بعمل بعض أنواع الحلويات والأطعمة كحلوى المقرود أو السفنج وطبق الشخشوخة التقليدي أو غيره من المساهمات التي تأتي للعروس في شكل هدايا تساعدها في تجهيز مستلزمات البيت كالأفرشة وأطقم الأواني وغيره، وهذا كله يعكس التضامن من أجل جهاز لعروسة، فهذا التقليد والموروث حافظت عليه العائلات العنابية بعد انتقالها للعيش في مناطق أخرى وتعيد احيائه بكل تفاصيله في الأمكنة المتواجدة بها حتى وان لم تكن تلك هي عادات المجتمعات المستقبلة، فكثير من العائلات المغتربة والعائلات التي انتقلت من مدينة عنابة الى مدن أخرى الا انهم يلتزمون بإقامة أعراس تقليدية وكأنهم متواجدون بقلب عنابة.

يعزز لباس العروس العنابية الشعور بالانتماء للمجتمع العنابي التي من بين أهم عناصره المكونة له الطابع العربي الإسلامي المحافظ والذي يمنع التبرج في مظاهره الصاخبة فلباس العروس العنابية لا يظهر من جسد العروس سوى وجهها ويديها، فالانتماء العضوي والوظيفي فيما بين المجتمع العنابي الصغير مع المجتمع العربي الإسلامي الكبير يظهر من خلال أشكال الخياطة والتطريز والفتلة ومعاني "الرشمة" وهي طريقة تصفيف خيوط الفتلة" لتعطينا أشكالا كالعين والحاجب أو الضفدع أو القمح أو المخ أو الزهرة والوردة أو أيضا شكل الشمعتين من الجهتين الأمامية والخلفية لقندورة الفتلة العنابية، فالتأثير والتكامل وتلبية الاحتياجات تربط الأفراد في علاقات عاطفية مشتركة تعزز الانتماء من خلال التجربة والشكل والهيكل والتنظيم والادراك الحسي للفرد وفهمه واتجاهاته ومشاعره وعلاقته بالآخرين في تجربة مجتمعية كاملة ومتعددة الأوجه.

وجود شخص داخل جماعة لا يعني بالضرورة أنه يشعر بالانتماء فاستشعاره لدوره المهم لمساندة جماعته هو الانتماء وهذا ما عرضناه في الأسطر السابقة ومن خلاله يكون للتواجد ضمن الجماعة معنى وهدف وهو شعور يبدأ تكوينه وتشكيله من سنوات العمر الأولى فالفتاة والصبي يتم تدريبهما في المجتمع العنابي على معايير أخلاقية تعزز من قيمة الموروث الثقافي الجزائري عامة، ولباس العروس العنابية إلى جانب ذلك فهو يحافظ على قيم تربوية وثقافية عديدة كتنشئة الفتيات على الحشمة والحياء والسترة الذي يزيد المرأة والفتاة وقارا ، وعلى قيمة بناء الأسرة والمحافظة عليها.

من نتائج لباس العروس العنابية التفاعل الاجتماعي فيما بين الأفراد مع أقرانهم أو تفاعل الأفراد مع بيئاتهم المحيطة، هذا الناتج الذي يأخذ صورًا متنوعةً ومختلفةً، فكريةً كانت كالمعتقدات واللغات، بلهجاتها، والعادات والتقاليد والطقوس والفلسفة الخاصة بأساليب العيش والتفاعل المجتمعي، أم ماديةً كانت، كمنتجات ومخرجات عمل الأفراد من آلات وأدوات وأبنية وكافة المستلزمات المادية الضرورية للعيش والتي تدخل في التفاعل الحياتي اليومي ضمن بيئات متنوعة وأزمان مختلفة يساهم لباس العروس العنابية في فتح فرص للعمل لليد العاملة الحرفية كالصائغ والتارزي "الخياط" والنحاس وخياطة العائلة وغيرهم، فمنتج هؤلاء يسعى الى حفظ وايصال الموروث الثقافي بصفة سالمة بسبب قيمته المادية والمعنوية الى الأجيال القادمة عن طريق لباس العروس العنابية والاحتفال بالزفاف،

وخلاصته أن لباس العروس العنابية هو جزء من الذاكرة الثقافية الشعبية الحية، فهو يؤدي وظائف لامادية تدعونا إلى التأمل فيه والاهتمام به والاستثمار فيه باعتباره ممثل للذات الجزائرية، وهنا يمكن أن تكلل هذه النتائج ببحوث ميدانية أخرى لها صلة وثيقة بموضوع دراستنا كليلة العرس وطقوسها وهاجس العذرية، لباس الرجل في يوم عرسه، مقارنة بين عادات الزواج لدى العائلات العريقة والتي تصنف ألقابها بالأصيلة، طقوس حمام لعروسة، وهذا حتى تتشبع مكتبة الذاكرة الاجتماعية بالشواهد العلمية الموثقة للمحافظة وصيانة التراث بأنواعه من الضياع والاندثار، والسرقة.

8. الهوامش:

1- فؤاد غازي، الملبس والهوية الثقافية بين الانتماء والاغتراب برؤية أنثروبولوجية، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العراق، مجلد 19، عدد77، 2013، ص.ص1-24.

2- لوران بارث، المغامرة السسيولوجية، تينمل للطباعة والنشر، المملكة المغربية، 1993، ص96.

3- نفجة عبد المالك، عادات وطقوس الزواج (مقاربة أنثربولوجية للمجتمع المحلي بالشريعة)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه منشورة، تخصص علم الإجتماع والأنثربولوجيا)، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2017-2018، ص196.

4-صوفية السحري بن حتيرة، الجسد والمجتمع دراسة أنثربولوجية لبعض المعتقدات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي للنشر، تونس، 2008، ص118.

5- خيرة بودرقة، قيمة الأعراس النفس اجتماعية بين الثرات الثقافي اللامادي وتحديات العولمة دراسة وصفية للعرس التقليدي بمنطقة شلالة العذاورة، مجلة القبس للدراسات النفسية والإجتماعية، مجلد 1، عدد 03، 2019، ص.ص43-71.

6- شيخ علي بودماغ خولة، الطقوس سياق لفهم الفعل الاجتماعي مجلة العلوم القانونية والإجتماعية، مجلد5، عدد 03، 2020، ص.ص435-450.

7- أحمد زغب، محاولة في عقلنة الطقوس، نقد نظرية العود الأبدي لميرسيا إلياد، مجلة الإنسان والمجتمع، مجلد 8، عدد 01، 2020، ص.ص 16-22.

8-ميشال مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص133.

9- ميشال مان، المرجع نفسه، ص113.

10-محمد عاطف، قاموس العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعي، مصر، 2006، ص66.

11-سعيد دحماني، من هيبون بونة الى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضاري، المجلس الشعبي البلدي بعنابة، الجزائر، 2003، ص23.

12- عزت زكي، حامد قادوس، آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، ص355.

13-سلاف دريسي ثاني، اللباس التقليدي "الحايك أنموذجا"، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد4، عدد08، 2018، ص201-211.

14-أسماء لبلق، التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية. مذكرة ماجيستر منشورة، تخصص علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، جامعة وهران2، 2014-2015، ص02-179.

15-فايزة تمساوت، مضامين رسائل الاتصال غير اللفظي، اللباس التقليدي للمرأة القبائلية نموذجا، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد55، 2021، ص535-540.

16-إسماعيل فاروق مصطفى، التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990، ص14.

17 - فؤاد غازي، المرجع السابق. ص14.

18-راحيل العريفي، الدلالات الاجتماعية لرمزية اللون في الخطاب الاجتماعي، مجلة الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، مجلد12 عدد 46، 2019،ص 120-139.

19-شكري بوشعالة، رمزية الألوان من المقدس الديني إلى السياسي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2016.

20-وسام صلاح عبد الحسين محاضرة في المهارة، مجلة كلية التربية البدنية، العراق، 2019، ص1.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊